

Université d'Oran 2 Mohamed Ben Ahmed
Faculté des Sciences économiques,
Commerciales et Sciences de Gestion
2022– 2021

- **Niveau : L1** **Semestre : S1**
- **Domaine : SEGC**
- **Matière : Introduction à la sociologie 1**
- **Enseignant : BENCHAREF HOUCINE**
- **Séquence : C10 / 15-10**
- **Code de la ressource : L1_S1_SEGC_D112_C10/15**

مقياس: مدخل الى علم الاجتماع

السنة الأولى علوم اقتصادية

السداسي الأول

جامعة وهران 2 محمد بن أحمد

منسقة المقياس الأستاذة: د. براس دلييلة

(2021 / 2022)

الأستاذ: توباش شكيب محاضر للمجموعات: 4+3+2+1

الأستاذ: بن شارف حسين محاضر للمجموعات:

10+9+8+7+6+5

المحاضرة التاسعة: النظرية التفاعلية الرمزية

المراجع

- الغزوي، فهمي وآخرون، 2006، المدخل إلى علم الاجتماع، دار الشروق للنشر للتوزيع، عمان: الأردن. (مرجع رئيسي)
- بدوي، السيد مجمد، 1981، مبادئ علم الاجتماع، ط2، دار المعارف، الإسكندرية.
- بركات، حلیم، 2000، المجتمع العربي في القرن العشرين، ط، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
- جدنز، انتوني، 2005، علم الاجتماع (مع مدخلات عربية)، ط4، ترجمة فايز الصياغ، مركز دراسات الوحدة العربية.
- خمش، مجد الدين، 1998، علم الاجتماع، دار مجدلاوي، عمان: الأردن.
- عثمان، إبراهيم، 1999، مقدمة في علم الاجتماع، دار الشروق للنشر للتوزيع، عمان: الأردن.
- الدقس، محمد، 1996، التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، دار مجدلاوي، عمان: الأردن.

النظرية التفاعلية الرمزية

إذا كانت البنائية ترى أن المجتمع هو الذي يؤثر في الذات، فإن التفاعلية ترى، عكس ذلك، أن الذات هي التي تؤثر في المجتمع. بمعنى أن الناس هم الذي يؤسسون المجتمع بأفعالهم وتصرفاتهم وسلوكياتهم الواعية والهادفة. ويسمى هذا المنظور بالتفاعلية الرمزية؛ لأن الأفراد، في تواصلهم وتفاعلهم، يستخدمون الرموز والإشارات والعلامات والأيقونات والإيماءات. ومن ثم، تتخذ أفعالهم طابعا نسقيا زاخرا بالدلالات السيمبائية والرمزية التي تستوجب الفهم والتأويل. وتعد اللغة أهم عنصر لدى هؤلاء، مادامت تؤدي دورا تواصليا ورمزيا.

وينطلق أنصار هذه النظرية التفاعلية الرمزية من أن المجتمع هو الذي يشكل الأفراد ويصنعهم، ولكن للفرد أيضا دور وفعل إبداعي في صنع هذا المجتمع بأفعاله الرمزية والتواصلية، كما يرى رائد هذه المدرسة وليام توماس (W.L.Thomas). ومن ثم، فهناك تفاعل متبادل بين الذات والمجتمع، مثل تفاعل المدرس مع التلميذ بشكل مزدوج.

هذا، وقد تبلورت التفاعلية الرمزية في أحضان مدرسة شيكاغو السوسيولوجية التابعة لجامعة شيكاغو. وقد تبلورت هذه المدرسة، في البداية، في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي لدراسة السلالات الإثنية والعرقية، ومشاكل المهاجرين، وانحراف الشباب في المدن الكبرى في الولايات المتحدة الأمريكية، باستخدام مختبرات اجتماعية، ومن أهم رواد هذه المدرسة ويليام توماس (William I. Thomas) وروبرت بارك (Robert E. Park). وبعد ذلك، ظهر جيل جديد من الباحثين، بعد الأربعينيات من القرن الماضي، اهتموا بدراسة المؤسسات والأوساط المهنية والحرفية، وقد استخدموا مناهج كمية وكيفية، تاريخية وبيوغرافية، ومناهج التحقيق والمعاشية المشتركة المستعملة في الأبحاث الأثروبولوجية والإثنولوجية. وقد انصب اهتمام هذه المدرسة على معاني الأفعال لدى الأفراد، داخل الوضعيات المجتمعية التي يعيشونها. ومن أهم أنصار هذه المدرسة: إرفينغ كوفمان (Erving Goffman)، وهوارد بيكر (Howard Becker)، وأنسيلم شتروس (Anselm Strauss)، وفريدسون (Freidson)، وإفريت هاوث (Everett Hughes)، وجورج ميد (George Mead) ... وقد اهتمت هذه المدرسة بدراسة المدن الحضرية، ودراسة المهاجرين، وعلم الإجرام، والشغل، والثقافة، والفن ...

مفهوم التفاعل الرمزي

يقصد بالتفاعل الرمزي ذلك التفاعل الذي يقوم بين الأفراد، ضمن نسق مجتمعي معين، ويظهر ذلك التفاعل في مجموعة من السلوكيات التي يقوم بها فاعل ما، في علاقة بالسلوك الذي يصدر عن الفاعل الآخر. وبتعبير آخر، تصدر عن الذات المتبادلة مجموعة من الأفعال وردود الأفعال في تماثل مع بنية المجتمع. وتتخذ هذه الأفعال معاني ودلالات رمزية متنوعة تستلزم الفهم والتأويل. ويعني هذا أن إميل دوركايم كان يركز على الظواهر المجتمعية، ويتعامل معها من منظور وضعي وعلمي، دون أن يعير الفرد أدنى اهتمام؛ وذلك بأن الفرد نتاج المجتمع، ولأدور له في تغيير المجتمع أو التأثير فيه، بل هو كائن منفعل ليس إلا. بيد أن مدرسة ماكس فيبر قد أعطت للفرد دورا مماثلا لدور المجتمع، إذ يؤثر الفرد في المجتمع، كما يتأثر به. بل هناك علاقة تفاعلية بين الفرد وبنية المجتمع. ومن هنا، ركزت المقاربة التفاعلية الرمزية على أفعال الذات أثناء عمليات التبادل والتواصل في حضن المجتمع، بهدف تحصيل المعاني الاجتماعية التي تعبر عنها تلك الأفعال والسلوكيات الرمزية.

علاوة على ذلك، فالعالم الذي تعيش فيه الذات المتفاعلة هو عالم مادي ورمزي. وفي الوقت نفسه، يحمل دلالات اجتماعية وسيميائية. بمعنى أن الأفراد هم الذين يعطون للعالم دلالاته الرمزية بواسطة التجارب الفردية المعاشة. وليست كل الأفعال التي تصدر عن الذات المتفاعلة اجتماعية، بل فقط الأفعال التي تحمل دلالات رمزية ومقاصد مباشرة وغير مباشرة أثناء التفاعل المجتمعي. أي: إن أفعالنا وسلوكياتنا تحمل في طياتها قيما ومعاني رمزية يتشربها الفرد من المجتمع، وعلى أساس ما اكتسبه من اتجاهات وقيم وميول يتصرف بها مع الآخرين، ويتنبأ بتصرف الآخرين تجاهه.

وم هنا، تتخذ نظرية التفاعل الرمزي طبيعة لسانية وسيميائية، مادامت تتكئ على الإشارات والرموز والعلامات اللغوية. بمعنى أن هذه النظرية تهتم بما هو لساني ولغوي ودلالي. وفي هذا السياق، يقول جيدنز: " تعنى هذه المدرسة بالقضايا المتصلة باللغة والمعنى. ويزعم ميد أن اللغة تتيح لنا الفرصة لنصل مرحلة الوعي الذاتي، وندرك ذاتنا ونحس بفرديتنا. كما أنها تمكننا من أن نرى أنفسنا من الخارج مثلما يرانا الآخرون. والعنصر الرئيسي في هذه العملية هو الرمز. أي: الإشارة التي تمثل معنى أو شيئا آخر. والكلمات التي نستعملها للإشارة إلى أمور محددة هي، في واقع الأمر، رموز تمثل المعاني التي نقصدها بكلمة الملغقة رمز نستعمله لوصف الأداة التي نستخدمها للحساء أو للأكل عموما. كما أن الرموز تشمل الإيماءات غير الشفوية وأشكال التواصل الأخرى. وثمة قيمة رمزية للتلويح لشخص ما أو القيام بإيماءة ذات دلالات بذئية. ويرى ميد أن البشر يعتمدون على رموز وتغاهمات ومواضعات مشتركة في تفاعل بعضهم مع بعض. ولأن البشر يعيشون في عالم زاخر بالرموز، فإن جميع عمليات التفاعل بين الأفراد تشتمل على تبادل الرموز. إن التفاعلية الرمزية توجه انتباهنا إلى تفصيلات التفاعلات الشخصية، والطريقة التي تتم بها هذه الترتيبات لإعطاء المعنى لما يقوله ويفعله الآخرون. وينوه منظرو هذه المدرسة بالدور الذي تؤديه هذه التفاعلات في خلق المجتمع ومؤسساته."

ويعني هذا أن النظرية التفاعلية الرمزية تدرس التفاعل الاجتماعي الذي يحمل دلالات لسانية وسيميائية وإيحائية.

نظرية التفاعل الرمزي

ترتبط نظرية التفاعل الرمزي بمدرسة شيكاغو، وقد استلهمت تصوراتها التفاعلية من براغماتية جون ديوي التي بدأها كل من شارلز بيرث ووليم جيمس، وطورها بشكل رئيسي ميد. وقد انصب اهتمام هذه المدرسة على الطبيعة الرمزية للحياة الاجتماعية، بالتركيز على المعاني والدلالات الرمزية التي تحملها أفعال الفاعلين داخل سياق اجتماعي معين. ويتعبّر آخر، تنتج المعاني الاجتماعية عن عمليات التفاعل والتبادل الموجودة بين الفاعلين داخل النسق الاجتماعي أو في علاقة ببنية المجتمع. ومن ثم، فدور الباحث هو أن يحلّل أفعال الفاعلين الاجتماعيين، برصد الدلالات والمعاني الرمزية التي تنتج عن تلك الأفعال المتبادلة، وتأويلها وفق تجارب الأفراد، ضمن نسق مجتمعي معين.

ومن هنا، فقد ارتبطت نظرية التفاعل الرمزي بجورج هيربرت ميد، كما يبدو ذلك جليا في كتابه (الفكر والذات والمجتمع من وجهة نظر السلوك الاجتماعي) الذي نشره سنة 1934م، ضمن منشورات جامعة شيكاغو، ولم يترجم إلى اللغة الفرنسية إلا في سنة 1963م. لكن هذا المفهوم قد وظفه بلومر لأول مرة سنة 1937م. " لقد فكر بلومر في سعيه للجمع بين المقاربة الفردية والمقاربة السوسولوجية المجتمعية أن مفهوم الذات يمكن أن يؤدي هذا الدور، شريطة أن نعتبر الذات استبطانا للسيرورة الاجتماعية التي تتفاعل بواسطتها مجموعات من الأفراد مع بعضها بعضا. فيتعلم الفاعل كيفية تكوين ذاته ونوات الآخرين بفضل تفاعله مع الآخرين. ويمكن عندئذ اعتبار الفعل الفردي خلقا متبادلا لعدة نوات تتفاعل فيما بينها، وهكذا، تكتسب النوات معنى اجتماعيا، وتضحى ظواهر سوسولوجية تشكل الحياة الاجتماعية. وسيتوجب على الدراسة السوسولوجية - إذأ- تحليل السيرورات التي يوفق بها الفاعلون سلوكياتهم على أساس تفسيراتهم للعالم الذي يحيط بهم."

يحصّر مفهوم التفاعل الرمزي عند أرنولد روس، في تفسيره لتصور ميد، في خمس فرضيات أساسية هي:

- 1 "نحن نعيش في محيط رمزي ومادي في آن واحد، ونحن الذين نضع معاني العالم ومعاني أفعالنا في هذا العالم بواسطة رموز.
- 2 يفضل هذه الرموز ذات المعنى التي يميزها ميد عن العلامات الطبيعية يكون بمقدورنا أن نحل محل الآخر؛ لأننا نشارك الآخرين الرموز نفسها.
- 3 نحن نتقاسم ثقافة مؤلفة من جملة من المعاني والقيم، وهي توجه معظم أفعالنا، وتتيح لنا على نحو واسع أن نتنبأ بتصرف الأفراد الآخرين.
- 4 إن الرموز، وبالتالي، المعاني والقيم المرتبطة بها، ليست معزولة وتشكل جزءا من مجموعات معقدة يعرف الفرد إزاءها دوره، وهو التعريف الذي يدعوه ميد الأنا، والذي يتغير بحسب المجموعات التي يتعامل معها في حين، إن أناه تمثل الإدراك الحسي الذي يكونه عن ذاته ككل. وقد وضح ميد هذا الفارق: "إن ضمير المتكلم أنا هو رد الجسم على مواقف الآخرين في حين، إن الأنا هي جملة المواقف المنظمة التي أوليها للآخرين، وتشكل مواقف الآخرين الأنا المنظمة، ويكون عندئذ رد الفعل إزاء ذلك على أساس أنا."

5 إن الفكر هو السيرورة التي من خلالها تدرس في بادئ الأمر الحلول الممكنة والمحتملة من زاوية الفوائد والأضرار التي يجنيها الفرد بالنسبة لقيمه قبل أن يختار هذه الحلول في نهاية الأمر. إنه نوع من الاستعاضة عن التصرف بواسطة تجارب وأخطاء. إن الفعل - إذأ- هو تفاعل مستمر بين أنا والأنا وسلسلة من المراحل التي تتبلور في نهاية الأمر في تصرف وحيد.

وهكذا، يتبين لنا أن مدرسة شيكاغو السوسولوجية هي التي اهتمت كثيرا بنظرية التفاعل الرمزي.

منهجية التفاعل الرمزي

يستند التفاعل الرمزي إلى منهجية فردية ذاتية. بمعنى أن المقاربة التفاعلية الرمزية تعطي دورا كبيرا للفاعل ضمن بيئته الاجتماعية الطبيعية. وبتعبير آخر، يعتمد التفاعل الرمزي على استعراض تجارب الأفراد، بغرض فهم الدلالات الرمزية لأفعال الأفراد داخل السياق الاجتماعي، وما تتميز بها هذه الأفعال البيئية من دلالات ومعان وحمولات رمزية. وبهذا، تتخطى المقاربة التفاعلية الرمزية السوسولوجيا الدوركايمة القائمة على التفسير العلمي والوضعي، وترجيح كفة المجتمع على كفة الذات أو الفاعل. وفي هذا الصدد، يقول آلان كولون (Alain Goulon) في كتابه (مدرسة شيكاغو): "يجب أن نأخذ بالحسبان أن التفاعل الرمزي المتبادل، وللمرة الأولى في تاريخ علم الاجتماع، يمنح دورا نظريا للفاعل الاجتماعي كمثل للعالم الذي يحيط به. ومن ثم، تستخدم طرائق في البحث تعطي أولوية لوجهات نظر الفاعلين. إن الهدف من استخدام هذه الطرائق هو توضيح المعاني التي يستخدمها الفاعلون أنفسهم لبناء عالمهم الاجتماعي. هنا، تقتضي المعرفة السوسولوجية الاعتماد على تجربة الأفراد. بخصوص التفاعل الرمزي المتبادل، لا يمكن للمعرفة السوسولوجية الواقعية أن تتكون عن طريق التقييد بمبادئ منهجية تسعى إلى استخراج المعطيات من سياقها لجعلها موضوعية. وسيكون المنصود، وعلى العكس من ذلك، دراسة الفاعل تبعا للواقع الاجتماعي الطبيعي الذي يعيش فيه. ينبغي على كل بحث في العلوم الاجتماعية الحرص على عدم تشويه العالم الاجتماعي، أو إخفاء الفاعليات المتبادلة التي ترتكز عليها كل حياة اجتماعية. ولهذا، يجب المحافظة على سلامة العالم الاجتماعي لكي يصبح بالإمكان دراسته، وأخذ وجهة نظر الفاعلين الاجتماعيين بالحسبان. إذ إن هؤلاء يبنون عالمهم الاجتماعي من خلال المعاني التي يخصصونها للأشياء والأفراد والرموز التي تحيط بهم".

ويعني هذا كله أن مدرسة شيكاغو تتبنى نظرية ماكس فيبر في دراسة الأفعال الاجتماعية، والتركيز على الفاعل الاجتماعي.

تقويم النظرية التفاعلية الرمزية

وعلى الرغم من أهمية النظرية التفاعلية الرمزية في تناول قضية الأفعال الفردية من الناحية اللسانية والسميائية والرمزية، والتركيز على عملية التفاعل أو عملية الفعل ورد الفعل، واستجلاء دلالاته الرمزية واللفظية والبصرية، في سياق تواصل وتبادلي معين، فإن هذه النظرية تتعرض للنقد لأنها تهمل القضايا الأوسع التي تتعلق بالسلطة وبالبنى في المجتمع، وبالطريقة التي يفرضان بها القيود على الفعل الفردي. "

ويعني هذا أن التفاعلية الرمزية ذات طبيعة شكلية ليس إلا، ترصد التفاعلات الاجتماعية ذات الطابع اللغوي والرمزي والسميائي، دون أن تتعمق في مواضيع سوسولوجية معقدة، مثل: القوة، والسلطة، والظلم والفرق، واللامساواة، وتهميش السود في مجتمعات البيض، والصراع بين الطبقات الاجتماعية، إلخ...

لقد ظهرت النظرية التفاعلية الرمزية في مدرسة شيكاغو، في منتصف القرن العشرين، وتبني على فكرة أساسية هي أن المجتمع نتاج التفاعلات الفردية. وبعد ذلك، انتشرت النظرية في ربوع أوروبا. ومن هنا، فالنظرية التفاعلية رصد للعلاقات التفاعلية التي تجمع الأفراد بالأشياء أو الموضوعات التي تحمل معاني أو دلالات معينة، ومن ثم، تتحقق المعاني عبر عملية التفاعل بين الأفراد بعضهم البعض في علاقتهم بتلك الأشياء. ومن ثم، تتغير معاني تلك الأشياء حسب التأويلات التي يعطيها الأفراد لها.

وعلى العموم، تتخذ المدرسة التفاعلية الرمزية طابعا لسانيا وسميائيا، وتذهب بنظرية الفعل الغييرية إلى أوسع مدى، عندما تحلل مختلف التفاعلات اللغوية والرمزية والسميائية بغية رصد دلالاتها الاجتماعية.